بسم الله الرحمن الرحيم

الْحِفَاظُ عَلَى الْأَوْطَانِ ١٨/ ١١/ ١٤٤٣هـ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ لِلْوَطَنِ فِي الْإِسْلَامِ شَأْنًا عَظِيمًا، وَالتَّفْرِيطُ فِي حَقِّهِ خَطَرٌ جَسِيمٌ؛ إِذِ الْإِسْلَامُ دِينُ الْفِطْرَةِ، وَالنُّفُوسُ فُطِرَتْ عَلَى حُبِّ مَا تَرَعْرَعَتْ فِيهِ مِنَ الْبِلَادِ، وَهَذَا هُوَ الْوَطَنُ الْخَاصُّ بِكُلِّ فَرْدٍ أَوْ جَمَاعَةٍ، تَرَاهُمْ يَبْذُلُونَ لِرُقِيِّهِ كُلَّ جُهْدٍ وَاسْتِطَاعَةٍ، إِلَيْهِ تَشْرَئِبُّ نُفُوسُهُمْ، وَفِيهِ تَأْنَسُ قُلُوبُهُمْ، وَبِهِ تَتَعَلَّقُ مَشَاعِرُهُمْ، أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمَكَّةَ: «مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ»، وَيَتَجَلَّى هَذَا الْحُبُّ مِنْهُ ﷺ حِينَ جَلَسَ إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ ﷺ كَثِيرًا إِلَى مَا أَخْبَرَهُ بِهِ مِمَّا سَيَتَعَرَّضُ لَهُ فِي دَعْوَتِهِ مِنْ مِحَنٍ وَمَصَاعِبَ مِنْ قَوْمِهِ، حَتَّى قَالَ لَهُ وَرَقَةُ: وَلَيْتَنِي أَكُونُ مَعَكَ إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، عِنْدَهَا قَالَ ﷺ: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟!»، لِمَا لِلْوَطَنِ مِنْ مَكَانَةٍ فِي نَفْسِهِ، وَحِينَ انْتَقَلَ ﷺ مُهَاجِرًا مُضْطَرًّا إِلَى الْمَدِينَةِ، سَأَلَ اللهَ أَنْ يُحَبِّبَ إِلَيْهِ وَطَنَهُ الثَّانِي، وَيُنْزِلَ عَلَيْهِ فِيهِ الرَّاحَةَ وَالسَّكِينَةَ، وَالْأَمْنَ وَالطُّمَأْنِينَةَ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا وَصَاعِنَا»، وَبَعْدَ أَنِ اسْتَوْطَنَ ﷺ الْمَدِينَةَ أَحَبَّهَا، وَكَانَ وَفِيًّا لَهَا، وَيَحِنُّ إِلَيْهَا.

إِنَّ حُبَّ الْوَطَنِ نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى، بِهَا تَستَقِرُّ نُفُوسُ السَّاكِنِينَ، وتَطْمَئِنُّ قُلُوبُ الْقَاطِنِينَ، وَتَتَحَرَّكُ لِلْعِمَارَةِ هِمَّةُ الْمُوَاطِنِينَ، فَحِينَ تَرَكَ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ زَوْجَهُ هَاجَرَ وَابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةَ، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَادٍ قَاحِلٌ غَيْرُ ذِي زَرْعٍ، دَعَا رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُيَسِّرَ لَهُمْ أَسْبَابَ الِاسْتِقْرَارِ، وَوَسَائِلَ عِمَارَةِ الدِّيَارِ، قَالَ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم

مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ بُنَاةَ الْوَطَنِ، الْعَامِلِينَ لِأَجْلِهِ، الْمُوَفِّينَ لِحَقِّهِ، يَخْلُدُ فِي النَّاسِ ذِكْرُهُمْ، وَيَبْقَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَجْرُهُمْ، أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَبْعَةٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ أَجْرَى نَهَرًا، أَوْ حَفَرَ بِئْرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلًا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ». إِنَّ الْمُتَأَمِّلَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ يَجِدُ شَأْنًا عَظِيمًا، وَمَنْزِلًا عَالِيًا كَرِيمًا، لِمَنْ يُسَاهِمُ فِي بِنَاءِ وَطَنِهِ، سَوَاءً كَانَ إِسْهَامُهُ فِي الْبِنَاءِ الْحِسِّيِّ بِإِنْشَاءِ الْمَرَافِقِ وَالْخَدَمَاتِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الصَّدَقَاتِ الْجَارِيَةِ، أَوْ كَانَ الْبِنَاءُ مَعْنَوِيًّا بِتَنْشِئَةِ الْأَجْيَالِ الصَّالِحَةِ، وَتَرْبِيَتِهَا عَلَى الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ؛ لِأَنَّ الْوَلَدَ الصَّالِحَ ذِكْرٌ حَسَنٌ لِأَبِيهِ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يُضَاعِفِ اللهُ ثَوَابَهُ وَأَجْرَهُ، وَيَبْقَى بَيْنَ النَّاسِ نَفْعُهُ وَأَثَرُهُ.

إِنَّ الْمُسَاهَمَةَ فِي مَشَارِيعِ الْبِنَاءِ، وَالْإِعَانَةَ عَلَى تَوْفِيرِ الْعَيْشِ الطَّيِّبِ وَالرَّخَاءِ، لَا يَقَعُ عَلَى عَاتِقِ الْحُكُومَاتِ وَحْدَهَا، بَلْ لِكَافَّةِ شَرَائِحِ الْمُوَاطِنِينَ إِسْهَامَاتُهَا فِي ذَلِكَ وَدَوْرُهَا، لَا سِيَّمَا أَصْحَابُ رُؤُوسِ الْأَمْوَالِ وَالشَّرِكَاتِ، وَأَرْبَابُ التِّجَارَةِ وَالْمُؤَسَّسَاتِ، وَلَا يَقْتَصِرُ دَوْرُهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَى أَدَاءِ الزَّكَاةِ الْوَاجِبَةِ، بَلْ فِيهِ حَقٌّ عَلَى أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْوَفَاءِ، وَالْمُتَّصِفِينَ بِالْإِحْسَانِ وَالْعَطَاءِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ لِحُبِّ الْوَطَنِ وَالْوَفَاءِ لَهُ صُوَرًا مُتَعَدِّدَةً، وَأَشْكَالًا مُتَنَوِّعَةً، وَأَشْرَقُ هَذِهِ الصُّوَرِ وَأَجْلَاهَا، وَأَهَمُّ تِلْكَ الْمَجَالَاتِ وَأَعْلَاهَا: الْمُسَاهَمَةُ فِي النُّهُوضِ بِالْمُؤَسَّسَاتِ الْعِلْمِيَّةِ وَمَرَافِقِهَا، وَلَئِنْ كَانَ لِأَصْحَابِ الْأَمْوَالِ بَاعٌ فِي إِنْشَاءِ بُنَيَّتِهَا التَّحْتِيَّةِ، فَإِنَّ لِذَوِي الْعِلْمِ مُهِمَّةَ بَذْلِ الْعِلْمِ وَالْإِرْشَادِ، وَالْإِيضَاحِ وَالتَّبْيِينِ لِمَا فِيهِ مَصْلَحَةُ الْعِبَادِ، فَإِنَّ وَفْرَةَ الْمَالِ يَجِبُ أَنْ تُصَاحِبَهَا نَهْضَةٌ عِلْمِيَّةٌ تُنِيرُ طَرِيقَ الْوَطَنِ، وَتُشْرِقُ بِهَا رُبُوعُهُ، وَيَعْرِفُ الْحَقَّ بِهَا أَفْرَادُهُ وَجُمُوعُهُ، إِنَّ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ مَسْؤُولِيَّةً عَظِيمَةً فِي

بِنَاءِ الْأَوْطَانِ، وَتَوْفِيرِ النُّصْحِ وَالرَّخَاءِ لِبَنِي الْإِنْسَانِ، وَهَذِهِ مُهِمَّةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَرِسَالَةُ الْأَصْفِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَهِيَ الْيَوْمَ مُهِمَّةُ الْعُظَمَاءِ الَّذِينَ اسْتَحَقُّوا التَّقْدِيرَ وَالِاحْتِرَامَ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ مِنْ أَهَمِّ الْمُنْجَزَاتِ، وأَعْظَمِ الْمُكْتَسَبَاتِ، الْأَمْنَ وَالسَّلَامَ وَالْوِئَامَ، فَاجْتِمَاعُ الْأُمَّةِ غَايَةٌ فِي الْإِسْلَامِ، وَلِأَجْلِهَا فُرِضَتِ الْفَرَائِضُ، وَشُرِعَتِ الْأَحْكَامُ، وَإِنَّ مِنَ الْوَفَاءِ لِلْوَطَنِ الْوُقُوفَ بِحَزْمٍ وَصَرَامَةٍ فِي وَجْهِ الْأَفْكَارِ الدَّخِيلَةِ وَمُرَوِّجِيهَا، وَالتَّصَدِّيَ لِلثَّقَافَةِ السَّقِيمَةِ ونَاشِرِيهَا.

إِنَّ الْعَبَثَ بِالْمُنْجَزَاتِ، وتَعْطِيلَ الْمَرَافِقِ وَالْخَدَمَاتِ، وَزَعْزَعَةَ الْأَمْنِ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ، كُلُّهَا مِنْ خِيَانَةِ الْأَمَانَةِ وَالْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ، تَوَعَّدَ اللهُ عَلَيْهَا أَلِيمَ الْعَذَابِ، وَأَعَدَّ لِمُرْتَكِبِيهَا شَدِيدَ الْعِقَابِ.

فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وَاحْرِصُوا عَلَى الْوَفَاءِ لَهُ وَإِسْعَادِهِ، فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِ أُمَنَاءُ، فَكُونُوا لَهُ نِعْمَ الْأَبْنَاءُ، بِالْحِرْصِ عَلَى تَحَمُّلِ الْمَسْؤُولِيَّةِ فِي مَسِيرَةِ الْبِنَاءِ، وَحُسْنِ الْعَطَاءِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الْحُبَّ الْحَقِيقِيَّ لِلْوَطَنِ يَتَجَلَّى فِي أُمُورٍ، مِنْهَا:

الْأَوَّلُ: النَّصِيحَةُ لِهَذَا الْوَطَنِ بِمَا يَكُونُ فِيهِ خَيْرُهُ وَخَيْرُ مَنْ يَعِيشُ فِيهِ. وَأَنْ يَقُومَ كُلُّ فَرْدٍ بِوَاجِبِهِ بِأَمَانَةٍ وَصِدْقٍ، وَمُحَافَظَةً عَلَى أَمْنِهِ وَمَرَافِقِهِ وَمَوَارِدِهِ، وَالْحِرْصُ عَلَى مُكْتَسَبَاتِهِ وَعَوَامِلِ بِنَائِهِ، وَالْحَذَرُ مِنْ كُلِّ مَا يُؤَدِّي إِلَى نَقْصِهِ.

لَا يَصِحُّ أَنْ يَنْتَسِبَ إِلَى هَذَا الْوَطَنِ مَنْ يَسْعَى فِي الْإِفْسَادِ وَالتَّخْرِيبِ، وَالتَّدْمِيرِ وَالتَّفْجِيرِ وَالْجَرَائِمِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا، أَوْ مَنْ يَسْعَى فِي فَسَادِ عَقَائِدِ أَهْلِ الْوَطَنِ وَأَخْلَاقِهِمْ.

الثَّانِي: يَتَجَلَّى حُبُّ الْوَطَنِ فِي أَدَاءِ الْحُقُوقِ، بَدْءًا مِنْ حَقِّ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَرْحَامِ، وَمُرُورًا بِحُقُوقِ وُلَاةِ الْأَمْرِ وَالْعُلَمَاءِ، وَانْتِهَاءً بِحُقُوقِ الْجِيرَانِ وَالْأَصْحَابِ وَالْمَارَّةِ.

الثَّالِثُ: تَعْلِيمُ أَبْنَائِنَا الصِّغَارِ أَنَّ هَذَا الْوَطَنَ وَطَنٌ مُسْلِمٌ، وَأَنَّ الْمُجْتَمَعَ مُجْتَمَعٌ مُسْلِمٌ، وَأَنَّ وُلَاةَ الْأَمْرِ مُسْلِمُونَ، وَغَرْسُ هَذَا الْمَفْهُومِ فِي نُفُوسِهِمْ مُنْذُ الصِّغَرِ؛ حَتَّى يَنْشَئُوا مُحِبِّينَ لِوَطَنِهِمْ وَلِمُجْتَمَعِهِمْ وَوُلَاةِ أَمْرِهِمْ.

الرَّابِعُ: بِنَاءُ الْوَطَنِ وَتَعْمِيرُهُ وَالتَّرَقِّي بِهِ. فَقَدْ حَثَّنَا الْإِسْلَامُ عَلَى تَعْمِيرِ الْوَطَنِ بِكُلِّ أَنْوَاعِ التَّعْمِيرِ، أَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ».

الْخَامِسُ: نَشْرُ التَّكَافُلِ وَالتَّعَاوُنِ بَيْنَ أَهْلِهِ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»، وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ».

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ ارْتِبَاطَ الْإِنْسَانِ بِوَطَنِهِ وَبَلَدِهِ مَسْأَلَةٌ مُتَأَصِّلَةٌ فِي النَّفْسِ، فَهُوَ مَسْقَطُ الرَّأْسِ، وَمَكَانُ الْعِبَادَةِ، وَمَحَلُّ الْمَالِ وَالْعِرْضِ، وَمَكَانُ الشَّرَفِ، عَلَى أَرْضِهِ يَحْيَا، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ، وَمِنْ خَيْرَاتِهِ يَعِيشُ، وَمِنْ مَائِهِ يَرْتَوِي، وَكَرَامَتُهُ مِنْ كَرَامَتِهِ، وَعِزَّتُهُ مِنْ عِزَّتِهِ، بِهِ يُعْرَفُ، وَعَنْهُ يُدَافِعُ، وَالْوَطَنُ نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ عَلَى الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ، وَمَحَبَّةُ الْوَطَنِ طَبِيعَةٌ طَبَعَ اللهُ ﷻ النُّفُوسَ عَلَيْهَا، وَلَا يَخْرُجُ الْإِنْسَانُ مِنْ وَطَنِهِ إِلَّا إِذَا اضْطَرَّتْهُ أُمُورٌ لِلْخُرُوجِ مِنْهُ، كَمَا حَصَلَ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ عِنْدَمَا أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَكَّةَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾.